

صبيحة أحد الأيام من سنة ١٩٣٣م استيقظ سكان القرية على خبر سيء أزعجهم ، فجارهم ع توفاه الله ، مما جعلهم يلغون كل ما لديهم من أعمال خاصة في هذا اليوم ، لأن أمراً قد حدث مما يتطلب منهم تكاتفاً و تآزراً لتجاوز هذا الحدث الجلل. وبدون تردد توجه جميع سكان القرية رجالاً و نساء صوب بيت المرحوم ع من أجل تقديم العون لأهله فيما يتعلق بالدفن والجنائز و مراسم العزاء ، ومن ثم مواساة أهله والتخفيف عنهم .

في

”بعد قرابة سبعين عاماً على اكتشافها: مملكة ماري من أعظم حضارات العالم القديم في حوض الفرات في سورية على لائحة التراث العالمي“

أونيسا ماري

عند الضحى عاد محمود من المقبرة الموجودة على التل المجاور للقرية ، ليخبرهم أن القبر صار جاهزاً. فحمل الأهالي الجنائز وساروا بها إلى حيث مئواها الأخير. وعندما كان بعض الشبان يوارونها الثرى راح محمود يبحث عن شاهدة مناسبة للقبر. نظر صوب اليمين ثم صوب اليسار ، لم يجد ما يناسب ، تقدم قليلاً إلى الأمام ، وقع نظره على جزء من حجر ظهر بسبب الأمطار التي أزاحت عنه التراب ، حاول سحب الحجر فلم يستطع ، أحضر معولاً وراح يبعد التراب من حول الحجر ، إلى أن تمكن من سحبه. و ما إن نظر إليه حتى تسمر في مكانه ، وراح يتأمل هذا الشيء الذي ظهر له من تحت التراب بكثير من الدهشة و الاستغراب. فهو حجر منحوت بدقة متناهية لشخص لم يتمكن محمود من العثور على رأسه ، رغم بحثه الجدي والحثيث عنه .

حمل محمود لقيته وعاد إلى القبر ليجد رفاقه قد انتهوا من الدفن وعادوا إلى القرية ، فأدرك أن اكتشافه لتلك اللقية استغرق من الوقت الكثير دون أن يشعر. وفي خيمة العزاء قص محمود على أهالي القرية ما حصل ، فوصل الخبر إلى الملازم كوبان من جيش الانتداب الفرنسي الموجود في بلدة البوكمال ، اهتم كوبان بالأمر وأرسل تقريراً إلى السلطات الأثرية الفرنسية الموجودة في بيروت. هذه السلطات التي أسرعت بدورها بإرسال تقرير إلى متحف اللوفر بباريس ، الذي أوفد البروفيسور أندريه بارو لاستطلاع الأمر والوقوف عن كئيب على الحدث. وبعد وصول البروفيسور بارو إلى الموقع مع مجموعة من تلاميذه ومساعديه ، قام بجمع بعض المعلومات من أهالي القرية عما حصل ، وراح يبحث وينقب في التل ، ليكتشف بعد فترة أنه يقف فوق أعظم مملكة في منطقة الجزيرة والفرات ، هي مملكة ماري التي ورد ذكرها في الكثير من المصادر والكتب التاريخية ، على أنها حاضرة من أعظم حواضر العالم القديم على ضفاف نهر الفرات في سورية.

ونتيجة لهذا الاكتشاف الكبير أخذ البروفيسور بارو بتردد كل عام على الموقع ، ليحصل على المزيد من المعلومات الهامة التي أماطت اللثام عن جوانب كثيرة من تاريخ منطقة الفرات خصوصاً وسورية عموماً.

مهلكة ماري من أعظم حضارات العالم القديم في حوض الفرات



أطلال مدينة ماري



خليل إقطيني

كاتب وصحفي بمؤسسة الوحدة للصحافة والنشر

مدير مكتب صحيفة تشرين بالحسكة

الجمهورية العربية السورية

aya2006@scs-net.org

■ الاستشهاد المرجعي بالمقال:

خليل إقطيني ، مملكة ماري من أعظم حضارات العالم القديم في حوض نهر الفرات. - دورية كان التاريخية. - العدد الرابع ؛ يونيو ٢٠٠٩. ص ٤٢-٤٧ (www.historicalkan.co.nr)

هذا الحدث أدى إلى تجهيز حملة ثانية وإرسالها إلى ماري ، وكان حقد الملك حمورابي في هذه المرة كبيراً ، فاحتلها ودمرها وأضرم النار في قصرها .. وبعد احتلال حمورابي لماري لم نعد نسمع عنها شيئاً ، إلا في القرن الثالث عشر ق . م من الملك الآشوري نيكولتي نيثورتا ، الذي وضع فيها حامية عسكرية آشورية ، متنبهاً لحسن موقعها كمعقل متقدم أمام العاصمة الآشورية في منطقة ما بين النهرين .

قصر ماري الفريد من نوعه

ويحتوي تل الحريري (ماري) على حضارات عدة ، أقدمها تلك التي اكتشف فيها الرقيم الكتابي الذي يعود عهده إلى منتصف الألف الرابع ق . م ، ولكن الحفريات بقيت مقتصرة على طبقات الألف الثالث ق . م ولم تتجاوزها .. وقد عرف الألف الثالث ق . م في الأوساط العلمية الأثرية بعصر فجر السلالات السومرية ، حيث كانت ماري تحتل مركزاً دولياً واقتصادياً هاماً آنذاك ، ونظراً لموقعها الاقتصادي والاستراتيجي كانت عرضة لغزوات مستمرة من الدول المجاورة ، وغنى ماري يظهر في كثرة الأبنية السكنية والمعابد والقصور التي اكتشفت فيها ، بالإضافة إلى آلاف القطع الفنية الرائعة المنتشرة في متاحف حلب ودمشق وباريس .

ولعل القصر الملكي الواسع هو أبرز المكتشفات في مملكة ماري .. هذا القصر الذي تأسس في الألف الثالث ق . م ، واستمر تجديده وتوسيعه حتى بلغ أوج اتساعه وعظمته تقسيماته الهندسية في فترة الملك زمريليم في الألف الثاني ق . م. وأهم ما يميز به هذا القصر المشيد من اللبن باحاته الواسعة وممراته العديدة التي تقود إلى قاعة العرش وتقسيمه إلى جناحين جناح خاص بالأمور الإدارية للمملكة وملحق لجناح لضيوف والمطابخ والحمامات والمدرسة ، وجناح خاص بالعائلة المالكة الذي كانت ترعى شؤونه زوجة الملك زمريليم التي تدعى شبيتو ابنة ملك حلب .. وعثر في قاعات القصر وباحاته على تماثيل حجرية كبيرة وعلى رسوم جدارية ملونة لمشاهد دينية وسياسية ، تعتبر درة في فن الرسم الملون قبل أربعة آلاف سنة .

وعثر في مكتبة القصر على الأرشيف الملكي ، الذي ضم ما ينوف على عشرين ألف لوحة مسمارية ، تحتوي على نصوص دينية ورسائل متبادلة ، وعقود تجارية ورسائل دبلوماسية متبادلة بين مملكة ماري والولايات التابعة لها مثل العشارة (ترقى) وتيتول ، وبين الممالك الأخرى مثل صيدا وأرض شمرا ومملكة يمحاض (حلب) وكرميش (جرابلس) .. وقد قام بدراسة قسم من هذه اللوحات المسمارية العالم جورج دوسان ، بمساعدة لجنة فرنسية بلجيكية ولا زالت مستمرة حتى الآن .



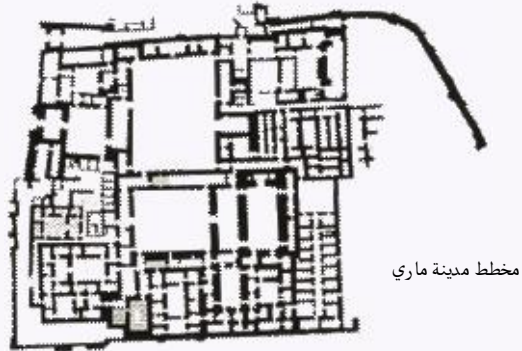
قصر ماري

السلالة العاشرة لهلوك ماري

تقع مملكة ماري في محافظة دير الزور شمال شرق سورية ، وتحديداً على الضفة اليمنى لنهر الفرات قرب بلدة البوكمال ، المتاخمة للحدود السورية العراقية من جهة الشرق. ويطلق على موقع ماري اسم تل الحريري ، الذي يحتل رقعة من الأرض تتراوح بين ألف م طولاً و٦٠٠ م عرضاً .

وتؤكد المصادر التاريخية ، أن عدد الملوك الذين حكموا ماري في الألف الثالث ق . م بلغ ١٣ ملكاً ، أطلق عليهم السلالة العاشرة لهلوك ماري وكان هؤلاء الملوك على صلات بالممالك السومرية في العراق ولا تخلو هذه الصلات من بعض التوترات السياسية عندما زحف على ماري ملك الوركاء (أوروك) لوكال زاغيري حوالي منتصف الألف الثالث ق . م ليهدم قسماً من المملكة ، وما لبثت ماري بعدها حتى استعادت نفوذها واستقلالها .

وعندما برزت السلطة الأكادية في عصر مؤسسها ساركون بقيت ماري تحافظ على كيانها كمملكة حليفة للسلالة الأكادية وعين عليها ايكو شماش .. وتذكر المصادر أن الملك ساركون مر بماري عندما كان يقود حملته للوصول إلى سواحل البحر المتوسط ، كما مر بها حفيده الملك نارام سين .. وشهدت المنطقة استيطان القبائل العربية العمورية التي بدأت تقييم لنفسها الكيان السياسي ، وتؤسس الممالك القوية في لارسا وأسين و بابل ، وعلى مجرى الفرات الأوسط ، وأصبحت ماري قوة سياسية في هذه المنطقة واتسع نفوذها في زمن ملكها باجدوليم وابنه يخدوليم الذي قتل عندما زحف على ماري ملك آشور شمسي حداد لينصب حفيده سمخ حداد ملكاً على ماري ، ويفر ولده زمريليم إلى حلب لتقيم الصلات الطيبة مع ملوكها ويتزوج ابنة ملك حلب ، ويقنعهم بضرورة تحالفهم معه لاسترجاع عرش والده .



مخطط مدينة ماري

و فعلاً عاد زمريليم إلى ماري ليحكمها ، وتعرف الدولة الرخاء والبناء في عهده ، وأقام علاقات جيدة مع الممالك المجاورة حتى وصلت علاقاته إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط . واشتهر قصره الفريد ، لدرجة أن ملوك صور كانوا يرغبون في إلقاء نظرة على عظمته وشهرته . ويروي أسعد المحمود في مقال له في العدد الأول من جريدة الفرات الصادر بتاريخ ١٩٨٣/٩/٥ ، انه عندما كان الملك حمورابي في بابل مشغولاً في توحيد الممالك في بلاد الرافدين اهتم بماري واستراتيجية موقعها بعد أن وحد الممالك وتطلع إلى ضمها إلى مملكته. وأرسل إليها حامية عسكرية مما اضطر زمريليم إلى الفرار منها واللجوء إلى حلب معتمداً على مقاومة أهلها للسيطرة البابلية .. ولم يكدمضي عام واحد حتى ثارت ماري وقتلت العديد من الحامية العسكرية وعاد زمريليم إلى حكمها .

الثور. وتضيف السيدة تروكاي على فرضية السيدة بواردا المتقدمة أمراً جديداً ، وهو أنه بدلاً من وجود الشخص الموزع للمطر كاله للمطر ، ربما يكون أتلاتن مساعداً على هطل المطر.

تماثيل فنية متويرة

وقد عثر في ماري على مجموعة من المعابد ، منها ما كان قائماً فوق الزقورة ، وأهمها معبد عشتار ومعبد داغان ومعبد نينخورزاك. وفيها عثر على التماثيل الفنية التي كانت تقدم هدايا للمعابد تقرباً من الآلهة في صلاة مستمرة ، وتحمل بعض هذه التماثيل على كتفها كتابات تذكر اسم المحسن ووظيفته واسم الآلهة التي يتوجه إليها بالدعاء والرجاء لإطالة عمره .. وإلى جانب تماثيل الرجال الملتحية عارية الرأس نجد مجموعة كبيرة من تماثيل النساء التي ترتدي قبعات طويلة و لها قصات شعر متشابكة ومعقدة ، وبعض النساء يحملن نبتة في اليد

اليسرى وهن واقفات أو جالسات. ومن التماثيل التي تلفت النظر تماثيل العاشقين الذي اكتشف مع غيره في معبد عشتار ، والظاهر أن الرجال كانوا يعتنون جداً بلحاهم ، فهي مسترسلة وطويلة على شكل تموجات والبعض منها ما يزال يحتفظ ببقايا صباغ ملونة. ومن أهم تماثيل ماري المتميزة تماثيل لامجي ماري الذي يحمل على كتفه من الخلف النص التالي : (لامجي ماري ملك ماري الكائن الأكبر للإله أنليل ، قدم تماثله وقفاً للآلهة عشتار المسترجلة). وهناك أيضاً التماثيل النصفية للطحان أيدي ناروم الذي اكتشف هو الآخر في معبد عشتار.

وربما كان من أهم التماثيل التي دخلت التاريخ عن طريق الصدفة تماثيل الإله شاماش إله الشمس والعدالة ، الذي اكتشفه محمود أثناء بحثه عن شاهدة لقبر المرحوم (ع) الذي أشرنا إليه في مقدمة هذا الموضوع والذي كان الحافظ لاكتشاف مدينة ماري التاريخية ، لكن لم يعثر للأسف على رأس هذا الإله ، الذي ينتهي جسمه بحراشف على شكل دوائر ترمز للجبل تحتها كتابة غير واضحة ، تذكر اسم سمخ حدد أحد أبناء شمسي حدد ملك آشور ، الذي عينه والده ملكاً على ماري ، بعد أن استولى عليها ، وقد زال حكمه عن ماري بعد موت والده ، وعودة ملك ماري الشرعي زمريليم من المنفى في حلب عاصمة مملكة يمحاض وإلى جانب تماثيل الإله شاماش ، يوجد زعزورة باب من الحجر اكتشفت في بوابة القصر وعليها كتابة تذكر اسم أحد ملوك ماري أنيم داجان ، تعود إلى عصر فجر السلالات أي منتصف الألف الثالث ق. م.

وداخل علبه في قصر ماري اكتشف تماثيل يدعى تماثيل لاسفان ، وهو تماثيل صغير من الحجر الرمادي الغامق دون رأس ، ويحمل كتابة عمودية على ثنية الثوب تقول : (لاسفان ابن اسمتين وهب تماثله للآلهة) ويشير طراز اللباس واللحمة وكل الدقائق الفنية الصغيرة ، إلى عصر أمراء ماري المعاصرين لحكام سلالة أور الثالثة

ويقول وحيد خياطة في كتابه دليل متاحف الآثار السورية القديمة في حلب ، أن القصر المكتشف في ماري أصبح مضرب الأمثال في عصره ، إذ تؤكد الوثائق التاريخية أن ملك أوغاريت طلب من حمورابي ملك حلب أن يتوسط لدى ملك ماري زمريليم بالسماح له بزيارة القصر. وقد زينت قاعة العرش برسوم تاريخية متعددة الألوان ، منها مشهد ديني يقود فيه أحد الرجال ثوراً للتضحية ، ويرتدي الثوب السوري المعروف في الألف الثاني ق. م المتركش الأطراف مع قبعة على الرأس معصوبة الوسط.

وتصف السيدة مادلين تروكاي في أحد بحوثها إحدى القطع الأثرية التي عثر عليها في الغرفة رقم ١٤٩ من قصر الملك زمريليم والموجودة حالياً في متحف اللوفر في باريس تحت رقم ١٤١٦/م ، بأن هذه القطعة تعود للعصر الأكادي ، وهي تمثل مشهداً دينياً طقسياً غير مؤكد التعريف ، إذ أن مدلولاته مازالت موضع جدل .. وتقول إن هذا الموضوع ينتظم في زمرتين متميزتين متصلتين بنوع من أداة زراعية (مذراة) ، ففي الزمرة الأولى يحمل أتلاتن بطرف ذراعه و فوق رأسه شكلاً فريداً لم يبق منه سوى الأعضاء العليا من اليدين الطويلتين الممسكتين بالمذراة ، ويظهر أمامه شخص منتصب بحاجة ذات فرعين غير متساويين تلمس المذراة في نهايتها . أما الزمرة الثانية الواقعة تحت أسنان المذراة ، فهي مؤلفة من شكل رباعي على شكل حزمة يظهر تحتها ثور مقاد من قبل كاهن يلبس تاجاً بقرنين.



ويقودنا البرهان من خلال المقارنات ، على أن الأداة ذات الذراعين والمذراة اللتين لم تفسرا من قبل ، يمثلان أشياء تقودنا لفرضيات تعتبر محاولات لتحديد معنى النحت ، ففيما يتعلق بفرضية السيدة بواردا التي اكتشفت نظرية النبات والتي يصور فيها أتلاتن كربة موزعة للمطر ، الذي يمثله الشكل المخدد الملتصق بالثور ، وله صلة بأضحية الثور بمناسبة الجفاف ، وهذا مستلهم من نموذج أسطوري موصوف في ملحمة جلجامش.

والحقيقة أن بعض الأعمال الفنية في الشرق الأدنى القديم المكرسة لعبادة الخصب ، تبين نموذجين من المواضيع المتماثلة بالنسبة لنا. ففي مشاهد صب السوائل المنحوتة على ثلاثة ألواح مثقوبة تعود لعصر السلالات ، نجد إناء بثقب طويل يذكرنا بقطعة قصر زمريليم في ماري ذات الثقبين ، كما نشاهد في عدة مشاهد مطرية منذ العهد الأكادي و الأناضولي (الألف الثالث حتى الألف الأول ق. م) مجاري مياه مرسومة بشكل بدائي تشبه أداة المذراة في قصر زمريليم ، ومن جهة أخرى نشاهد أحياناً مساقط المياه تصب من جن (عفاريت) تنزل من السماء ، ومن الممكن مقارنتها بأشخاص تابعين لأتلاتن. وهكذا نرى تعويضاً عن المذراة وجود نبع يتدفق بالماء الذي ينحدر شلالاً ، بعد أن يغذي الإناء ذو الثقب بشكل استتالة مطرية تأتي فوق

أوان حجرية ومزهريات

وقد عثر أيضاً في مملكة ماري على الكثير من المكتشفات الهامة التي تعتبر نماذج تمثل حضارة الألف الثالث ق. م ، كالأواني الحجرية وكسر أوان من حجر الستاتيت والألباتر. ومن أجمل القطع المكتشفة مزهرية مزخرفة بنقوش نافرة تمثل ثعبانين بأحجار ملونة ، ومزهريّة أخرى عليها مشهد صراع بين أسد وثعبان ، وهذا النوع من الآتية (حجر الستاتيت) ليس إنتاجاً محلياً ، بل كان مستورداً من جنوب إيران .. وقد تم في الفترة الأخيرة اكتشاف أحد أهم المراكز المشهورة بهذه الصناعة في جنوب مدينة كيرمان في إيران. وهذا دليل على مدى النشاط التجاري الواسع الذي كانت تمارسه مملكة ماري حتى مع الدول والممالك البعيدة عنها .. أما الأواني المصنوعة من الألباتر فهي أقل زخرفة وأكثر بساطة .. وقد عثر على كسرتين من الألباتر تحملان بقايا كتابية بالخط المسماي الذي لم يكتمل تطوره بعد ، ويمكن معرفة أصل الكتابة المنقولة عن الصور الحسية بسهولة. وكشف أيضاً عن مجموعة من الأختام الأسطوانية التي تعكس تتابع الحضارات والعصور في ماري منذ بداية الألف الثالث حتى النصف الأول من الألف الثاني ق. م ، ولعل من أهم الأختام الأسطوانية المعروضة الختم الكبير من عصر فجر السلالات بشريطين مصورين ، ويحمل الختم اسم صاحبه ، وبهذا يكون هذا الختم من أقدم الأختام المعروضة التي تحمل اسم صاحبها. وأظهرت التنقيبات مجموعة من الحلي الذهبية والعقود وغطاء أذن ذهبي لتمثال كبير وأنواع مختلفة من الأسلحة والأدوات البرونزية والحجرية بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الدمى البشرية والحيوانية.

ماري والخابور

وقد تبين من خلال دراسة المكتشفات التي تم العثور عليها ، ولاسيما الألواح الموجودة في مكتبة القصر أن هناك صلات قوية بين مملكة ماري والمناطق و الممالك القريبة منها و المحيطة بها. فمن المعروف أن نهر الخابور يعتبر النهر الأكثر أهمية بالنسبة لرافدي الفرات الوحيدين ، فهو ينبع من منطقة رأس العين في الجزيرة السورية ، ويصب في الفرات في موقع البصرة في محافظة دير الزور وبذلك يجمع بين المنطقتين الأكثر خصباً ، وهما منطقة الجزيرة ووادي الفرات الذي يتسع أحياناً بين المرتفعات الصخرية (فاليتير) التي تحدد شاطئيه حيث الخضرة الوارفة .. ويؤكد الأستاذ أندريه فينه في أحد بحوثه أن أهمية هاتين المنطقتين لا تنحصر بالناحية الزراعية ، فمن المعلوم أن الفرات كان أبداً و دائماً الطريق الرئيس للمبادلات التجارية بين ساحل البحر الأبيض المتوسط وجنوب الأناضول من جهة وبلاد سومر من جهة ثانية.

وتقع مملكة ماري في مجرى الفرات الأوسط مستفيدة من ضرائب التجارة التي سببت ثروة طائلة . كما يوجد طريق بري يسمح لحركة القوافل التجارية بين البلاد الشمالية الغربية وبين بلاد ما بين النهرين جنوباً ، و اعتباراً من المراكز الهامة كهيت و كركميش يمكن للقوافل أن تسير خلال الهضاب الشمالية مجتازة منطقة الجزيرة لتدرك وادي دجلة النهر الثاني الكبير في بلاد ما بين النهرين ولتصل بلاد آشور وبابل. ومنذ ذلك الزمن يمكن تفسير حماس زمريليم ملك ماري طيلة حكمه للسيطرة على منطقة الجزيرة وإقامة الإقطاعيات فيها ، مما

التي حكمت جنوب بلاد الرافدين مما يعني أن تمثال لاسفان يعود إلى هذه الفترة أي نهاية الألف الثالث ق. م.

وعثر أيضاً على تمثال لأسد فاغر الفاه مع نظير مماثل له عند مدخل معبد الإله داجان. ونحن نعرف من تقاليد القصور الآشورية في الألف الأول ق. م أن الأسود الضخمة كانت تقف أمام المعابد والقصور لحراستها وطرد الأرواح الشريرة منها وعلى هذا تكون هذه العادة متبعة في مملكة ماري قبل ألف عام من انتشارها في الدولة الآشورية ، وهذا التمثال موجود حالياً في متحف اللوفر في باريس.

وفي حوض للمياه (بركة) داخل باحة قصر زمريليم اكتشف تمثال ربة البنوع المتميز من حيث الجودة والإتقان والصنع .. تحمل الربة على جبهتها قرني ثور رمز الألوهية المعروف في الشرق القديم ، أما شعرها الكثيف فملفوف على رقبتها نحو الأعلى على شكل عقد ، يزين جديدها عقد ثقيل مؤلف من عدة طبقات ، وللتخفيف من وطأة ثقل العقد عمد الفنان إلى خلق توازن للجسم بشرط طويل يتدلى على الظهر ، وقد ازدانت يدا الربة بثلاثة أساور في كل معصم ، ونقش الفنان على القميص ذي الأكمام القصيرة صورة سمك يسمح بين أمواج المياه ، ليدل على وجود الماء الذي تحمله الآلهة داخل وعاء كروي بين يديها .. وليس مستبعداً أن الربة كانت بالفعل تهب المياه رمز الوجود ومصدر الحياة ، فالتمثال يحوي في تجويفه أنبوباً يصل أسفل التمثال بالوعاء الذي تحمله.



كاهنة من ماري

أما تمثال الأمير أشتوب أيلوم فقد عثر عليه في قاعة عرش القصر ملقباً أسفل الدرج على ظهره ، وهو مصنوع من حجر الديوريت الأسود ، ونقش اسمه بالخط المسماي على أعلى كتفه الأيمن ويرتدي شالاً بسيط الزخرفة ويعتبر بقعة عريضة الحافة.

مملكة ماري على نهر الفرات مع مملكة أوغاريت على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، تتحدث البروفيسورتان مارغريت يون و آني كوييه : تبدو مدينة أوغاريت المتوسطة للوهلة الأولى غريبة عن عالم الفرات إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الجوانب البارزة من الحضارة المادية. ومع ذلك فإن الوثائق المكتوبة تشير إلى وجود صلات هامة بين مملكة أوغاريت المتوسطة ومملكة ماري الفراتية ، وأبرز هذه الوثائق المراسلات الرسمية المكتوبة باللغة الأكادية ، حول أنماط التفكير المستعارة من عالم ما بين النهرين والتي تتمثل في تقنيات المحاسبة أو بنصوص دينية وسحرية. وإذا ما أمعنا النظر في ذلك ، فإن التنقيبات الحديثة والأبحاث التي جرت عن أوغاريت كما في مواقع الفرات ، تدل أنه بالنسبة لعهد البرونز الحديث - وهو الأكثر شيوعاً في أوغاريت - من الممكن أن يساعد على فهم أفضل لبعض جوانب الحياة في سورية الساحلية وسورية الداخلية في العصور القديمة. وهذه بعض الأمثلة المستندة إلى التنقيبات الحديثة :

- في مجال العمران والهندسة السكنية ، سمحت دراسة منظمة أجريت في أوغاريت بإبراز بيت مميز بالاستناد إلى بعض الوثائق كالمآكيات الهندسية التي عثر عليها في التنقيبات التي أجريت في منطقة الفرات.
 - وبالنسبة لهندسة الأبنية المقدسة ، فإن العثور على نموذج جديد للمحراب في أوغاريت جعل العلماء والباحثين يعيدون النظر في مسألة تأريخ تكون المعابد السورية.
 - أما العادات الجنائزية فتدل على الثوابت في هذه العادات في سورية من البحر المتوسط وحتى الفرات ، وخاصة فيما يتعلق بالأشياء ذات القيمة الرمزية كبيض النعامة ، أو بعض الأثاث الفاخر الذي وجد في مقابر أوغاريت وفي المقابر الآشورية في مملكة أوغاريت.
- ومن ناحية أخرى فإن وجود رسالة في أوغاريت ورد فيها ذكر مملكة ماري في القرن الثالث عشر ، يؤكد أن هناك الكثير من المعلومات التي مازالت مجهولة عن عالم الفرات وخاصة مملكة ماري خلال هذه المرحلة.



برنامج متطور عن ماري

كل هذا الكم من المعلومات عن مملكة ماري ، والذي عرضه في السطور السابقة بشكل مكثف ، ظهر هذا من خلال الاكتشافات التي تمت على يد البروفيسور أندريه بارو في موقع تل الحريري (ماري) من خلال ٢١ موسماً (١٩٢٣ - ١٩٧٤) . ورغم ذلك مازالت أعمال البحث والتنقيب مستمرة حتى اليوم في الموقع على يد البروفيسور جان كلود مارغون من فرنسا ، بعد وفاة البروفيسور بارو ، ضمن برنامج يتطور في أربعة اتجاهات :

يتيح له المراقبة التامة لحركة التجارة الدولية .. وتشير الوثائق الملكية لقصر ماري إلى الدور الهام الذي احتله نهر الخابور من الناحية التجارية ، مع ذكر الإجراءات التنظيمية التي تم اتخاذها من أجل المحافظة على المخزون من المحاصيل الزراعية ، من الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها جراء الفيضانات المفاجئة والعواصف والأمطار . وتحدث تلك الوثائق عن وجود مقاطعتين كبيرتين هما مقاطعة سكاراتوم جنوب الخابور ، وكاتونان شمال الخابور ، وقد كان لحكام هاتين المقاطعتين علاقات قوية مع حكام مملكة ماري .

ماري و تل ليلان

وعن العلاقة التي كانت تربط بين مملكة ماري و تل ليلان في الألف الثاني ق . م ، يقول البروفيسور هارفي وايس : يحتل تل ليلان مساحة ٩٠ هكتاراً ويبعد مسافة ٢٥ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة القامشلي الواقعة في محافظة الحسكة شمال شرق سورية (الجزيرة السورية) . وقد جذب هذا التل الكبير اهتمام الأثريين منذ أكثر من مئة عام .. ومنذ اكتشاف الرقم المسماة في ماري و التكهينات تدور حول احتمال أن تكون مدينة شباط أنليل عاصمة شمسي حدد مدفونة في تل ليلان .. علماً أن شمسي حدد كان يقيم في شباط أنليل بعد أن أقام ابنه يسمخ حدد ملكاً على ماري .

وقد كشفت أعمال التنقيب في تل ليلان عن جزء لا بأس به من مبنى ضخيم ، ويشبه هذا البناء في تفاصيله قصور معاصرة له في بلاد الرافدين مثل لارسا و تل الرماح وفي مملكة ماري ، وخاصة فيما يتعلق بانتظام الغرف والأعمدة الحزونية التزيينية ، وبناء على هذا التشابه يفترض المختصون و علماء الآثار ، أن يكون المبنى المكتشف في تل ليلان عبارة عن معبد .. فقد كانت أرضيات الغرف تعج باللقى الأثرية ، فمثلاً عثر على ٢٣٧ طبعة ختم على كسر طينية ، مما ساعد على استقاء معلومات جديدة تفيد في تحديد هوية تل ليلان في أوائل الألف الثاني ق . م .

كانت ثمانية من أصل تلك الطبقات تخص خادم شمسي حدد ، وهذا دليل على أن البناء المكتشف كان مستخدماً في ظل ذلك الملك ، وأن موقع تل ليلان كان بالتأكيد جزءاً من مملكته .. وكانت هناك طبعتان تحملان اسم أبيل إيليشو ابن عالي بنيشو ، خادم توروم ناكتي . ومن المعروف أن المدعو توروم ناكتي كان - من خلال ما ذكر في نصوص مملكة ماري - حاكم مدينة قريبة من شباط أنليل عاصمة شمسي حدد ، وأن أحد الملوك الصغار في منطقة الخابور في الجزيرة السورية حاول السيطرة على المدينة بعد وفاة شمسي حدد . وكانت بقية الطبقات تحمل اسم المدعو بيلي عموفي خادم حاجا أبوم ، وكان الأخير ملكاً على مدينة أبوم القريبة من شباط أنليل ، وحتى أحد أكبر معابد شباط أنليل كان مخصصاً لإله مدينة أبوم . وبعد وفاة شمسي حدد عين زميرليم ملك ماري ، المدعو حاجا أبوم قيماً على مدينة شباط أنليل .

ماري و أوغاريت

ولم تكن هناك علاقات وطيدة بين مملكة ماري على الفرات ، والممالك والمقاطعات القريبة منها ولاسيما الممالك والمقاطعات الموجودة في منطقة الجزيرة و حوض نهر الخابور فحسب ، وإنما أقامت مملكة ماري علاقات وطيدة و طيبة أيضاً مع الممالك البعيدة عنها . فعن علاقة



جائزة هبة العلاف

لبحوث التاريخ الحديث

إبراهيم العلاف يطلق جائزة سنوية لبحوث التاريخ الحديث ، مدير مركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل يطلق جائزة هبة العلاف في مجال التاريخ الحديث للباحثين الشبان.

أطلق الدكتور إبراهيم العلاف مدير مركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل جائزة سنوية تحت اسم (جائزة هبة العلاف) ، ستخصص وتمنح للباحثين الشبان ممن هم دون سن الأربعين عاماً ، بعد كتابتهم لبحوث في مجال التاريخ الحديث ، وقيمتها مليون دينار عراقي. ونوه العلاف إلى أن إطلاق هذه الجائزة جاء إحياءً لذكرى ابنته " هبة " التي توفيت في مستشفى الأردن بعد إصابتها بسرطان الغدد اللمفاوية وهي في عز شبابها السنة الماضية.

والهدف من الجائزة تشجيع الباحثين الشبان على إنجاز بحوث أكاديمية رصينة في جوانب حية ومهمة من جوانب التاريخ الحديث والسعي باتجاه نشرها ووضعها في تناول الناس.

وستتضمن المشاركة "كتابة بحث في موضوع معين من موضوعات التاريخ الحديث تتراوح صفحاته بين ١٥- ٢٥ صفحة وتراعي فيه الشروط العلمية والأكاديمية" ، ومشيراً إلى أن مبلغ الجائزة سيوزع حسب درجات الفوز الأربعة ، فسيحصل الفائز الأول على ٤٠٠ ألف دينار ، والفائز الثاني على ٣٠٠ ألف دينار ، والفائز الثالث على ٢٠٠ ألف دينار ، والفائز الرابع على ١٠٠ ألف دينار عراقي. وسيتم الإعلان عن الجائزة في أواسط شهر مايو/أيار من كل سنة ، وتتنجز البحوث في أواسط شهر سبتمبر/أيلول وتعلن النتائج أواسط شهر نوفمبر/تشرين الثاني.

هناك لجنة ستشكل من أساتذة متميزين لتقويم البحوث المقدمة ، إضافة إلى أن هناك شهادة تقديرية ستمنح للفائزين وسبق لهم احتفال خاص.

كما أعرب العلاف عن أمله بأن تقدم البحوث المشاركة في الجائزة إلى مركز الدراسات الإقليمية في جامعة الموصل.

مركز الدراسات الإقليمية / جامعة الموصل

المركز الجامعي الأول قرب كلية الزراعة

العنوان البريدي : العراق / جامعة الموصل

مركز الدراسات الإقليمية

البريد الإلكتروني

rscs_iqlimiya@mosuluniversity.org

- دراسة عاصمة مملكة أسست على الفرات مع الإشارة إلى العمران ، وتطور الموقع وعلاقته مع النهر.
- دراسة الأرض التي كانت قاعدة للزراعة في هذا الموقع أي بين جرف الصالحية و الباغوز ، مع البحث عن شبكات الري والسكن و الأهلي في زمن ماري.
- دراسة محور توسع المملكة وعلاقتها مع نهري الخابور و البليخ.
- دراسة علاقة ماري مع جيرانها.

ومن المؤكد أن نتائج هذه الدراسات ستمد الباحثين وعلماء التاريخ والآثار بمعلومات جديدة على قدر كبير من الأهمية سواء عن منطقة الفرات بشكل خاص أو سورية بشكل عام ، ولاسيما أن منظمة اليونسكو أدرجت مدينة ماري الأثرية والمدن المنسية في شمال سورية على لائحة التراث العالمي في عام ٢٠٠٧ ، كما جرى بشأن قلعتي الحصن وصلاح الدين.

لكن مع ذلك يبقى لدينا سؤال أخير ، وهو كيف انتهت مملكة ماري؟ والحقيقة هناك روايات كثيرة ومتعددة حول الطريقة التي انتهت بها مملكة ماري ومن كان وراء تدميرها والقضاء عليها. وبالرغم من أن الغالبية العظمى من تلك الروايات تبدو غير مؤكدة و لا توجد قرائن تؤيدها و تؤكد مصداقيتها ، فإننا نميل أكثر لتلك الرواية التي تشير إلى أن الملك حمورابي البابلي ينسب لنفسه حرق مملكة ماري وهدمها بأمر من الإله أنليل ، كما جاء في مقدمة قانون حمورابي الشهير.

المصادر والهراج

١. أسعد المحمود ، جريدة الفرات ، العدد (١) تاريخ ١٩٨١/٩/٥.
٢. وحيد خباطة ، دليل متاحف الآثار السورية.
٣. مادلين تروكاي ، بحث عن القطعة ١٤١٦م في متحف اللوفر.
٤. أندريه فينة ، بحث عن منطقتي الجزيرة والفرات في سورية.
٥. الوثائق الملكية لقصر ماري.
٦. هارفي وايس ، بحث عن العلاقة بين ماري وتل ليلان في الألف الثاني ق.م.
- ٧- مارغريت يون وأنني كوين ، بحث عن العلاقة بين ماري وأوغاريت.

من النشاط الإعلامي للأسناد خلد أفطيني:



أعد برنامجاً تلفزيونياً وثائقياً عن تاريخ وأثار حوض الخابور للفضائية السورية بعنوان (من ذكريات الخابور) من (١٢) حلقة مدة كل منها ٢٠ دقيقة. ويعتبر هذا البرنامج الوثيقة الوحيدة في سورية التي توثق تاريخ وحضارات ما يقارب من (٦٠) تل أثري غمرت بالمياه ولم يعد لها وجود.